والتناجر

كان فيما بينهم من النفاق والتناجر والتجارب فهو كالجسوس الشاهد
ولانه قد ذكر الصفه وهو جبل مكان ذكر العلم مقه احسن طيبا قاله **واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون**
مساق هذه الاية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير
لان تلك في سياق مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون
عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين
وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم
وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم شيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الغار والباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر
رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته
ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وقرا ابو حنيفة واذا لاقوا وخلوت بفلان واليه
اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى
عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض
فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما
تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم
وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل
على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح
والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل انا معكم انا
مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم **فان قلت** لم كانت مخاطبتهم المؤمنين
بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية محققة بان **قلت**
ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث
الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ
ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية
وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد
والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين
والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول
المؤمنين ربنا اننا امنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم
من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه

على

على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج
عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد **فان قلت** انى
تعلق انما نحن مستهزؤن بقوله انا معكم **قلت** هو تاكيد له لان قوله
انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام
ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع
نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر
او استئناف كانهم اعترضوا اهل الاسلام فقالوا لهم انا معكم قالوا فما بالكم ان صح
انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية
والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزا يهزا مات على
المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لاهزان على مكاني وناقته تهزا
به اي تسرع وتخف **فان قلت** لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى
لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله
تعالى قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله فما معنى استهزائه بهم **قلت** معناه
انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة
والزراية ممن يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا كذلك وقد كثر التهكم كذلك في كتاب الله بالكفرة والمراد به تحقير شانهم
وانذار امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك
الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين
في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم من العذاب وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه
لقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه **فان قلت**
كيف ابتدا قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله **قلت**
هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ
بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته
لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله تعالى هو الذي يتولى
الاستهزاء بهم انتقاما للمسلمين ولا يحوج المسلمين ان يعارضوهم باستهزاء مثله
فان قلت فهلا قيل ان الله مستهزئ بهم ليكون مطابقا لقوله انما نحن مستهزؤن
قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا
كانت نكاية الله فيهم وبلاؤه النازل بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار
حذار من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا
ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه
ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا اصلحتهما بالزيت
والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه **فان قلت** لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء **قلت** كفاك دليلا انه من المدد دون
المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو